الديناميات السوسيوثقافية للسلوك الحضري بمدينة ميسور: مقاربة إيكولوجية

Sociocultural Dynamics of Urban Behavior in Missour City:
An Ecological Approach

محمد غمري
طالب باحث، مختبر الدراسات والأبحاث الثقافية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس، المغرب.
Mohammed.ghamri@usmba.ac.ma
نور الدين المصوري
أستاذ باحث، مختبر الدراسات والأبحاث الثقافية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس – فاس، المغرب.
noureddin.elmsaouri@usmba.ac.ma

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مظاهر التغير الاجتماعي في المجال الحضري لمدينة ميسور، مع التركيز على البُعدين المادي (المنشآت العمرانية، التجهيزات) والثقافي (أنماط العيش). تنطلق **الإشكالية** من ملاحظة ازدواجيةٍ في السلوك الاجتماعي تجمع بين الطابع القروي السائد والتطلعات التحضرية الناشئة. اعتمدت الدراسة على **المنهج الكيفي**، مستندةً على الأطر النظرية لمدرسة شيكاغو، مع تطبيق تقنيتي الملاحظة المباشرة (شملت 5 مواقع على مدى 6 أشهر) وتحليل مضمون 80 منشور على الفيسبوك وجداريات الشارع العمومي، عبر برنامج ATLAS.ti للترميز المحوري. كشفت **النتائج** عن وجود مرحلة انتقالية يتناقض فيها التمدد العمراني (إنشاء مراكز تجارية، تزايد الوحدات السكنية..) مع استمرار الممارسات القروية (سوق أسبوعي بمواصفات قروية، سوق مفتوح وغير مهيكل لتجارة الماشية، استخدام هوامش الشوارع كمراعي..)، وهو ما يعكس صراعًا بين الهياكل المادية الحديثة والهويات التقليدية. **تستنتج** الدراسة أن هذه الازدواجية تُعيد إنتاج مفهوم "الهامشية الحضرية" لروبرت بارك، وتوصي بتبني سياسات تشاركية تعزز الاندماج الحضري عبر حوار مجتمعي ومؤسسي.

الكلمات المفتاحية:

الإيكولوجيا الحضرية، نمط العيش الحضري، الهامشية الحضرية، الممارسات القروية، التحضر.

Abstract:

This study investigates social change in Missour City's urban space, focusing on material (infrastructure, facilities) and cultural (lifestyles, behaviors) dimensions. It addresses a duality in social behavior where rural traditions (e.g., informal livestock trading, weekly rural-style markets) coexist with urban aspirations (e.g., modern housing and commercial centers). Using the Chicago School's theoretical framework, the research employs qualitative methods, including direct observation of 5 urban sites over 6 months and axial coding (via ATLAS.ti) of 80 Facebook posts and street graffiti. Findings reveal a transitional phase marked by conflict between urban expansion (new buildings, infrastructure) and persistent rural practices (rural activity zones), reflecting Robert Park's concept of "urban marginality." The study concludes by advocating participatory policies to foster urban integration through institutional-community dialogue.

Keywords:

Urban Ecology, Urban Lifestyle, Urban Marginality, Rural Practices, Urbanization.

تقديم

تتخذ هذه الدراسة من السلوك الاجتماعي داخل المجال الحضري موضوعا لها، إذ تعمل على مساءلة أسس ومعايير التحضر من زاوية سوسيولوجية تركز على تعريف التحضر بوصفه انتشارا لمجموعة من الأنساق والقيم والمواقف والسلوكات المطابقة للثقافة الحضرية، على اعتبار أن هذه الأخيرة تحيل على نمط من التحولات الاجتماعية التي تفضي إلى تباعد المسافات بين الأفراد بحيث تصبح اجتماعية الجماعة (La sociabilité de la communauté) قائمة على معايير الفردانية[115]، وتغدو التركيبة الاجتماعية قائمة على استقلالية الفرد، لا على خضوعه لضرورات الروابط الأسرية أو العائلية أو القبلية.

على المستوى الميداني، يتموقع مجال حركة هذه الدراسة ضمن حدود مدينة ميسور التي تقع بالمغرب الشرقي، وتنتمي إداريا لإقليم بولمان وجهة فاس–مكناس، وتُحَدُّ جغرافيا بموقعها بحوض ملوية الوسطى بين

[115] C. Dollo, et autres : *Lexique de Sociologie*, 5eme Edition, DAllOS 2017, p 604.

سفوح الأطلس المتوسط شمالا، وسفوح الأطلس الكبير جنوبا. وتعتبر ميسور عاصمة إدارية لإقليم بولمان، وهي تبعد عن فاس بحوالي 200 كلم وعن ميدلت بحوالي 90 كلم، وتصنَّف من الناحية المناخية ضمن المناطق شبه الجافة.

إن ما ينشغل به الباحث يتموقع بصفة أساسية ضمن ازدواجية مؤداها أن المنشآت والتجهيزات والأطر المادية لمدينة ميسور تشهد بوجود مجال تنطبق عليه –من الناحية النظرية– مواصفات المجال الحضري، لكن على مستوى السلوك الاجتماعي والبناء الثقافي لمجتمع المدينة يصعب الإقرار بوجود نمط عيش حضري يستجيب في خصائصه القيمية وأنشطته العملية لمعايير التحضر. ولذلك، فإن ما يسعى الباحث إلى استقصائه هو مدى إمكانية إحداث الانسجام/التطابق على مستوى مدينة ميسور بين البعد المورفولوجي المادي للمجال الحضري وبين بعده التفاعلي الثقافي؛ وبناء على ذلك، تتغيى هذه الورقة التفكير في الإشكالية التالية: إلى أي حد تتجسد الثقافة الحضرية على مستوى السلوك الاجتماعي للقاطنين بمدينة ميسور؟

تتخذ هذه الدراسة من معيار "التجانس" مؤشرا على مدى وجود هذا التطابق من عدمه، معيار يتمظهر في مستويات مختلفة: الحجم السكاني، نمط العيش اليومي، النشاط الاقتصادي، المعجم التداولي في أنماط التواصل... وهي تتأطر بفرضية مؤداها أن السلوك الاجتماعي في مدينة ميسور يعرف سيرورة معقدة من التغير الاجتماعي، تجعله لا يستجيب لمعايير الثقافة الحضرية، وفي نفس الوقت لا يخضع لنظام ثقافي قروي تقليدي؛ كما تركز الدراسة على الاستفادة من المنجز السوسيولوجي الذي بذلته مدرسة شيكاغو في مقاربة الظاهرة الحضرية، وعلى تفعيل أدوات "الملاحظة بالمشاركة"؛ ثم تتوجه في مرحلة لاحقة نحو محاولة فهم الصورة التي يكونها القاطن بمدينة ميسور حول نفسه وحول المجال الحضري الذي ينتمي إليه، وذلك من خلال تحليل منجزه التواصلي الذي وقع تجميعه من مصادر نصية متعددة.

1- الدراسات السابقة

في دراسته حول التحضر، التحديث، والحداثة في المجتمع المغربي يخلص الدكتور أحمد لكْوال إلى القول بأن "الرهان على التحديث والحداثة بصرف النظر عن الجهة التي تبنَّته وروَّجت له، رهان لم يُعطِ أكله على الرغم من إنجاز بعض المشاريع التنموية، كما أن انعكاساتها ظلت محدودة ولم تمسَّ إلا شكليا

نمط عيش الإنسان المغربي العادي"[116]؛ وبالتالي تظل المدينة بمحتواها الحضري الثقافي والإنساني غائبة عن التحقق في الواقع الاجتماعي الفعلي، وما يزال المشروع التقدمي والنهضوي للمجتمع المغربي قيد الانتظار.

يُعتبر الإسهام الذي قدمه الدكتور عبد الرحمان المالكي مرجعا مركزيا في إرساء أسس السوسيولوجيا الحضرية المغربية وفي الاستفادة من السوسيولوجيا الأمريكية، حيث ألَّف كتاب "مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة" استهدف من خلاله التعريف بهذا الاتجاه، والكشف عن أسسه ومناهجه في البحث والنتائج التي توصل إليها، كما انشغل كذلك بإنجاز دراسة سوسيولوجية ميدانية كشف من خلالها عن علاقات التداخل بين الثقافة والمجال، باعتبار أن "الهجرة" عبارة عن سيرورة ديمغرافية وسوسيولوجية، تتمظهر فيها سيرورات التفاعل بين الفرد والوسط الاجتماعي، ولذلك فقد كانت غايته من وراء هذا العمل أن يدرس "مسارات الانتقال من التحضر الكمي إلى التحضر الكيفي، انطلاقا من فرضية مركزية مؤداها أن التحضر الكمي الذي تعرفه المدينة المغربية الحديثة بفعل الهجرة القروية يتحول تدريجيا إلى تحضر كيفي تختفي فيه الفوارق القروية/الحضرية"[117].

يعتبر المالكي أن النمو الكمي لتحضر المجالي والديمغرافي، لا بد أن يتحول إلى نمو كيفي يتخذ شكل تحضر ثقافي كذلك، أي اكتساب ثم اعتماد منظومة سلوك وقيم جديدة، تختلف عن المنظومة السائدة في البادية[118]؛ وهو ينتهي إلى رصد مواقف المهاجر القروي وتمثلاته للبيئة والثقافة الحضريتين، ذلك أنه ينخرط منذ وصوله للمدينة في سيرورة تحضر، التي تتضمن دوما بعدا إدماجيا، ذلك لأن هذه السيرورة تمكِّن من جعل الأفراد في وضعية تعايش وتفاعل؛ وبالتالي يتحدد التحضر ضمن هذا الطرح بوصفه عملية

---

[116] أحمد كوال: **التحضر، التحديث، الحداثة، في المجتمع المغربي الحديث**، افريقيا الشرق 2012، المغرب، ص263.

[117] خالد شهبار: **سوسيولوجيا الهجرة والتحضر أمام اختبار البراديغم البنائي**، مجلة العمران، العدد 15/8، خريف 2016، ص184.

[118] المرجع نفسه.

تثاقف (Acculturation) بين المهاجر ومحيطه الإيكولوجي: "إن التحضر هو سيرورة الانتشار التدريجي لنمط العيش الحضري على مستوى الأفراد والجماعات والجهات"[119].

في دراسة سوسيولوجية للقرية والمدينة بالمجتمع المغربي يطرح الدكتور محمد سلام شكري فرضية مقتضاها أن "التحديث الزراعي في المجتمع القروي الفلاحي يؤدي إلى تشكل مركز حضري يتضمن في مستوياته المادية والرمزية خصائص التحضر"[120]، وهي فرضية تتخذ من منطقة خميس الزمامرة بدكالة خلال الفترة الزمنية (1970–2000) نموذجا بحثيا تم إجراؤه استنادا على خلفية نظرية مؤطرة بالإيكولوجيا الحضرية وفق المنظور الذي أرسته مدرسة شيكاغو؛ إلا أن الدراسة تخلص إلى الإقرار بوجود تحولات طرأت على مركز الزمامرة في انتقاله من الدوار إلى المدار السقوي ثم المركز الحضري، لكنها تحولات أثبتت تحقق تغير اجتماعي طرأ على البنيات المادية والرمزية من دون أن يفضي ذلك إلى اكتساب خصائص التحضر والمجتمع المتمدن.

تنتهي الدراسة باستنتاج وضعية التمايز بين التغيرات التي شملت الأطر المادية والرمزية للمركز الحضري خميس الزمامرة وبين وضعية الانشداد إلى الماضي القروي للمركز، من دون تمكنه من إنتاج ثقافة حضرية ترقى به إلى مستوى المدينة الحضرية: "إنه التغير المركب الذي شمل البنيات الديمغرافية والعمرانية دون أن يشمل وبشكل عميق البنيات الثقافية والسياسية"[121].

والمستفاد من هذه القراءات أن موضوع السوسيولوجيا الحضرية يهدف إلى دراسة جوانب السلوك الإنساني في ارتباطه المباشر بالمجال الإيكولوجي؛ وهو ما يتيح إمكانية الاستفادة من عدتها النظرية والمنهجية في دراسة نمط العيش الحضري للمجتمع المغربي في أبعاده المحلية، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة الحذر من الوقوع في إضفاء طابع العمومية والكلية على النتائج التي يمكن استخلاصها، فما يميز

---

[119] عبد الرحمان المالكي: **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**، طباعة SIPAMA، ط1، 2015، المغرب، ص25.

[120] محمد سلام شكري: **القرية والمدينة بالمجتمع المغربي، في التغير المركب من الدوار إلى المركز الحضري**، الطبعة الأولى 2020، مطبعة Solprint – Fes، المغرب، ص22.

[121] المرجع نفسه، ص136.

مجال البحث في السوسيولوجيا الحضرية هو ضرورة إضفاء بعد النسبية الثقافية على مختلف الظواهر التي تتم دراستها ضمن هذا الإطار.

2- الأطر النظرية

تستند مدرسة شيكاغو في خلفيتها النظرية على الفلسفة البرغماتية التي تدمج المنظور الواقعي للقضايا، فالبرغماتية فلسفة للفعل وانخراط في واقع الحياة الاجتماعية واهتمام بكل ما يتعلق بالأفعال الإنسانية التي تفضي إلى إحداث التغيير؛ من جهة أخرى، تستفيد المدرسة من نظرية التفاعلية الرمزية التي تعتبر أن "الفاعل" يتأثر ويؤثر في محيطه وفق سياق الوضعية التي يتموقع فيها: "تؤكد الفاعلية الرمزية أن المفهوم الذي يكونه الفاعلون عن العالم الاجتماعي هو الذي يشكل في نهاية المطاف الغاية الأساسية من البحث السوسيولوجي"[122].

يشترك رواد مدرسة شيكاغو في دراسة الظاهرة الحضرية من خلال تحليل ثنائية التنظيم الاجتماعي والاختلال الاجتماعي، إذ تعمل على تحليل منظومة القيم والقوانين وأنماط السلوك التي تجعل البناء الاجتماعي في حالة انتظام داخلي، ثم تتوجه نحو البحث عن العوامل التي تفضي إلى وقوع الاختلال الاجتماعي، فضعف تأثير القواعد والمعايير الاجتماعية على الأفراد وتحرر سلوكهم من الانضباط لها، يفضي إلى زعزعة الاستقرار الاجتماعي، وتنتج عنه مظاهر الهجانة الثقافية بين جماعة يغلب عليها الالتزام بالمعايير الاجتماعية التقليدية، وجماعة ناشئة تؤسس لنموذج جديد من القيم؛ وتُعتَبر الدراسة السوسيولوجية حول الفلاح البولوني التي قام بها وليام إسحاق توماس (W. I. Thomas) تطبيقا نموذجيا لهذه الخطاطة النظرية، فقد مكَّنت ملاحظاته الميدانية للمجتمع الفلاحي البولوني من الانتباه إلى وجود بنيات تقليدية تميز هذا المجتمع على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لكنَّ "هجرة" الأفراد البولونيين نحو أوربا وأمريكا أفضت إلى ظهور اختلالات في التنظيم الاجتماعي، خصوصا في جوانبه المعيارية المؤطرة للسلوك، ذلك أن كلَّ فرد ينخرط في سيرورة الهجرة معناه أنه يتخلى تدريجيا عن قيم المجتمع السابق ويكتسب نمطا جديدا من القيم هي أقرب إلى الفردية. إلا أن مرحلة الاختلال الاجتماعي هي مرحلة مؤقتة وضرورية، تأتي

[122] آلان كولون: **مدرسة شيكاغو**، ترجمة مروان بطش، منشورات المعرفة. ط1، 2012. ص22.

بعدها عملية إعادة التنظيم الاجتماعي (Réorganisation)، وذلك من خلال إنتاج قيم وقواعد جديدة تتلاءم مع الواقع الجديد، وتسمح بإحداث عملية التكيف الثقافي والاندماج في بنية المجال الحضري: "بدأ سوء التنظيم الاجتماعي في الانتشار والاستفحال في المجتمع البولوني –حسب إسحاق طوماس– لما بدأ الأفراد يعرفون وضعياتهم انطلاقا من معايير اقتصادية، ودينية، وفكرية، بدل المعايير الاجتماعية التقليدية، ونتيجة لذلك تفقد القواعد الاجتماعية قوتها، وتطغى الرغبة في النجاح الفردي وإعطاء قيمة أعظم "للنقد" على الرغبة في الاعتراف الاجتماعي"[123].

يمضي السوسيولوجي الأمريكي روبرت إيزرا بارك (R. Ezra Park) في نفس النهج الذي سلكه وليام طوماس، لكنه يطور خطاطة الاختلال الاجتماعي على مستوى التفاعل الذي يحدث في الوسط الحضري بين الجماعات المستقرة والجماعات الوافدة، وكذلك بين مختلف الأشكال الثقافية التي تسعى إلى فرض حضورها داخل المجال الحضري سواء من خلال البحث عن سبل حماية الخصوصية الثقافية، أو إدماجها ضمن العناصر الثقافية المؤثثة للفضاء الحضري، ومن ثمة يعتبر روبرت بارك أن المسافة بين الاختلال الاجتماعي وإعادة التنظيم الاجتماعي تتوسطها أربع مراحل أساسية[124]، حيث تتعلق المرحلة الأولى بأشكال التنافس (La compétition) بين الجماعة الوافدة والجماعة الأصلية، خصوصا في المجال الاقتصادي وتقسيم العمل، بينما تتوجه المرحلة الثانية إلى لحظة الصراع (Le conflit) بما هي مرحلة حتمية تنحو فيها الأقلية نحو خلق تضامن فيما بينها تسعى من خلاله إلى إثبات نفسها داخل الجماعة الكلية، يفضي هذا الصراع إلى مرحلة التكيف (L'accommodation) التي يسعى فيها الفرد أو الأفراد إلى التوافق مع الأوضاع الاجتماعية المترتبة عن حالتي التنافس والصراع، ويبلغ التكيف طوره الأقصى في مرحلة التمثل (La représentation) حيث تتلاشى الفوارق بين الجماعات وتختلط القيم وتتبادل المصالح وتتعمَّق الفاعلية التواصلية.

---

[123] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، افريقيا الشرق، ط2، 2019ص111.

[124] كولون: **مرجع سابق**، ص ص 35–57.

إن المدينة وفق هذا المنظور هي مسرح هذه العمليات بمختلف عناصرها المتفاعلة وبتعدد الفاعلين ضمنها وبتنوع المفاعيل المنحرفة (Les effets pervers) التي تترتب عنها، ولذلك سيعتبرها روبرت إيزرا بارك مختبرا للبحث السوسيولوجي من داخل المقاربة الايكولوجية الإنسانية، لكنه يوجه إليها نظرة مزدوجة، إذ يعتبرها مجال التقدم والرخاء والحرية ونمط العيش الأفضل، ومن جهة ثانية يقر بأنها مجال المعدلات العليا للجريمة والانحراف وسوء التنظيم الاجتماعي.

تتمحور المقاربة الإيكولوجية الإنسانية حول التفاعلات بين عناصر الوسط الطبيعي، وكذا أنماط وآليات التفاعل بين الجماعات في الوسط الجغرافي معين. وفقا لهذا المعنى، تصبح المدينة قابلة للدارسة العلمية، بحيث يمكن رصد تطورها وإخضاع سيرورة نموها للملاحظة والتجريب: "وممَّا يجعل المدينة المجال الأنسب لدراسة الحياة الاجتماعية، ويمنحها صفة المختبر الاجتماعي، هو أنه في المدينة تصبح كلُّ خاصية من خصائص الطبيعة الإنسانية غير قابلة للرؤية فحسب، ولكن مكبَّرة أيضا"[125].

إن مفهوم المدينة بحسب هذه المقاربة يتجاوز محدودية المستويات المرتبطة بالأبعاد الترابية والتخطيط العمراني والهياكل التنظيمية والمادية، بحيث يقع التركيز أساسا على سيرورات التغير الاجتماعي، فالتنظيمات المادية لا تنفصل عن المعايير الأخلاقية وأنماط السلوك الاجتماعي؛ وبنفس القوة التي تؤثر المدينة في تكوين توجهات الأفراد وطباعهم، يعود هؤلاء الأفراد أنفسهم ليطبعوا الامتداد المجالي لمدينتهم بخصائصهم الإثنية والثقافية، فالعلاقة بين المجال والإنسان هي علاقة تأثير وتأثر: "تنهض هذه التنظيمات بالاستجابة لحاجات الساكنة، فبمجرد تشكلها تصبح واقعة اجتماعية خارجية تتأثر بالساكنة وتؤثر فيهم على نحوٍ يحقِّق الترابط والاندماج فيما بين الأفراد والتنظيم"[126].

يركز بارك على ضرورة دراسة "الحجم السكاني" من حيث تركيزه وتوزيعه داخل مجال المدينة، وذلك بغاية المقارنة بين خصوصيات التنمية لساكنتها وأنماط العيش المعتمدة داخلها، كما يبرز بارك أهمية استجلاء القوى أو العوامل التي تؤدي إلى تخفيض التجانس الاجتماعي وتباين المشاعر والمصالح، وما

---

[125] المالكي: **مدرسة شيكاغو**، مرجع سابق، ص125.

[126] R. E. Park: *The city: Suggestions for the investigation of Human Behavior in the City Environment*; American Journal of Sociology; Mar 1915; Vol 20; No 5; P 578.

ينتج عنهما من تحولات في نمط العيش وانتقالٍ من مقومات الانسجام الداخلي إلى إكساب الجماعة طابعها الفرداني: "بشكل عام، يسمح ذلك بتحديد المتغيرات التي تجعل من الساكنة غير مستقرة، وتجعل من مصالحها واهتماماتها متفرِّقة، مختلفة، ومتوزعة"[127].

يسجل بارك الترابط الوثيق بين المجال والساكنة، بين البنيان المادي والتخطيط العمراني للمدينة، وبين الأشكال الثقافية المتعددة التي ينتجها الفعل الاجتماعي، والتي تظل عصية على التأطير والضبط من طرف الأجهزة الإدارية والسلطات المحلية، ففي الكثير من الأحيان يقع تعارض مهول بين المسار الذي يتخذه التخطيط العمراني وبين الواقع الاجتماعي للمدينة؛ لتوضيح هذا الأمر يكفي أن نشير مثلا إلى الحالات التي يتم فيها التخطيط لإنشاء مساحات سياحية أو فضاءات ترفيهية، في حين يتوجه الاستغلال السكاني لها في مسار القيام بأنشطة اقتصادية غير مهيكلة، أو بتجمع لفئات عمرية معينة تقوم بأنشطتها الخاصة (التسكع، سباق الدراجات النارية، القمار والمراهنات القتالية...)، ويتوجه أيضا في مسار الاستيطان العرقي، حيث تميل الساكنة التي تنتمي إلى نفس الأصول من حيث عرقها أو جنسيتها إلى الاستيطان في نفس الأحياء، وذلك حفاظا على مصالحها الاقتصادية وعلى طقوسها الثقافية (الحي الصيني في سان فرانسيسكو ونيويورك، صقلِّية الصغيرة في شيكاغو...).

إن التحقيق الاجتماعي حول المجال الحضري بحسب إيزرا بارك يقتضي القيام بدراسة الحجم السكاني ودرجات التجانس أو التنافر على مستوى كثافته، ثم تحليل المتغيرات المرتبطة بسيرورات التغير الاجتماعي فيما يتعلق بطبيعة النسق الثقافي السائد داخل مجالٍ ترابي محدد (الأحياء السكنية)، وذلك من خلال البحث عن عناصر اللحمة الاجتماعية للساكنة أو عوامل سيادة الطابع الفرداني داخلها. وبناء على ذلك، يدعو بارك إلى ضرورة القيام بالبحث الميداني الموجَّه بحقل تساؤلي، نذكر من بين أسئلته: "ما هي العناصر التي تتركب منها بنية المدينة؟ إلى أي حد تعتبر هذه العناصر نتاجا لسيرورات انتقائية؟ كيف يتشكل الناس ضمن مجموعات؟ وكيف يندمجون فيها أو ينفصلون عنها؟ ما هي العناصر المحددة لدوام واستقرار الساكنة بمجال ترابي محدد؟"[128].

[127] Ibid, p 581.
[128] Ibid, p583.

يقول إيزرا بارك في أحد أهم نصوصه السوسيولوجية: "إن المدينة تنمو من خلال الامتداد والاتساع، ولكنها تحتفظ دوما بطابع الانتقاء والتمييز بين سكانها، بحيث إن كل واحد ينتهي في آخر المطاف إلى إيجاد المكان الذي يمكنه أن يعيش فيه، أو الذي يجب عليه أن يعيش فيه. [...] إن توزع الجماعات بحسب السن والجنس يُظهر العديد من التباينات العجيبة في مختلف أجزاء المدينة، وهذه التباينات تعتبر مؤشرات ثابتة عن اختلافات أخرى على مستوى الثقافة والطباع وسط السكان"[129]، بيان ذلك أن أهمية المقاربة الإيكولوجية تكمن في اعتبارها أن الفضاءات الطبيعية لا تنفصل عن الفضاءات الروحية، وأن البناء المورفولوجي لمجتمع المدينة من حيث إطارها المادي الخارجي متمثلا في المجال الترابي والحجم السكاني والهياكل التنظيمية، لا ينفصل عن بنائها الفزيولوجي من حيث مظاهر الحياة داخل المدينة متمثلة في مختلف التفاعلات الاجتماعية والأبعاد الثقافية (اللغة، الدين، القانون، الأعراف...). لذلك فإن فهم السلوك الإنساني يقتضي دراسة أنماط العيش داخل المدينة، وأشكال التفاعل بين النشاط الاجتماعي والمجال الإيكولوجي.

3- الأطر المفهومية وتمفصلاتها الإجرائية

3-1 في السلوك البشري: بين الفردي والجماعي

يؤكد رالف لينتون (R. Linton) على اختلاف المعايير المحددة للشخصية الفردية باختلاف المجتمعات، فأعضاء أي مجتمع يشتركون دائما في قائمة طويلة من عناصر الشخصية: "يمد هذا الشكل المتكامل (أي نموذج الشخصية الأساسية) أعضاء المجتمع بقيمٍ ومفاهيم مشتركة، ويؤدي إلى إثارة رد انفعالي موحد فيهم اتجاه حالات تمس قيمهم المشتركة"[130]. ويضيف لينتون أن أهم قنوات النقل الثقافي

[129] روبرت إيزرا بارك: **المدينة كمختبر اجتماعي**. عن كتاب مدرسة شيكاغو، لعبد الرحمان المالكي، مرجع سابق، ص ص186-187.

[130] رالف لينتون: **الأصول الحضارية للشخصية**، ترجمة عبد الرحمان اللبان، مراجعة محمد زايد، دار اليقظة العربية / مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك، 1964، ص177.

تكمن في "التأثيرات المستمدة من سلوك الآخرين ذي النمط الحضاري اتجاه الفرد (...)، وهناك أيضا التأثيرات المستمدة من الملاحظة أو تعلمه لأنماط السلوك المميزة لمجتمعه"[131].

من زاوية أخرى، تكشف أبحاث السوسيولوجي الفرنسي موريس هالفاكس (M. Halbfachs) عن الترابط الوثيق بين الجماعة، الذاكرة، والمكان؛ ويعتبر أن المشترك الثقافي بين أفراد الجماعة هو حصيلة الإنتاج الجماعي لمعطيات الذاكرة التي تسهم في تكريس تمثلات معينة حول المكان، وهي تمثلات تعكس الكيفية التي يدرك بها الفرد والجماعة علاقتهما بالمجال، فتضفي عليه طابع هويتها الجماعية وتحافظ على استمراريتها، ويحافظ بشكل من الأشكال على وحدة هويتها، ذلك أن "كل ذاكرة فردية هي عبارة عن وجهة نظر تطل على الذاكرة الجمعية"[132]، وهي بهذا المعنى ليست عبارة عن معطيات جامدة ذات طابع تاريخي فقدَ قدرته على الحركة والإنتاج، بل هي وجه من الأوجه المتعددة لاستمرارية الماضي في الحاضر واستشرافه للمستقبل، ويعتبر "المكان (Le lieu)" هو هذا المجال الذي تتجسد فيه الذاكرة الجمعية وتتأطر ضمن مجاله وحدة السلوك بين الفردي في تجلياته الجزئية وبين الجماعي في تجلياته الكلية. فالمكان –بحسب هالفاكس– ليس مجرد منازل وأسوار عالية عابرة للعقود والأجيال والقرون، بل هو في الأساس فضاء للاتصال والتفاعل بين المجموعة الاجتماعية التي تظل منشغلة على الدوام بما يقع داخل امتداد رقعتها المجالية[133].

تأسيسا على ذلك، نستطيع التأكيد على عدم الانفصال بين السلوك الفردي والبناء الثقافي للجماعة الذي يُباشَر فيه، إنها علاقة تأثير وتأثر تنبني على جدلية التفاعل؛ من جهة ثانية نستطيع التأكيد على الترابط الوثيق بين السلوك الإنساني والمجال المكاني الذي يُباشَر فيه؛ إنه ترابط إيكولوجي يترك أثره في الفرد بمثلِ ما يترك الفرد أثره في المكان. وبالتالي نخلص إلى التساؤل مجددا: أي نموذج معياري للمدينة يمكن اعتباره النموذج الأمثل للسلوك الحضري؟

---

[131] المرجع نفسه، ص189.

[132] زهير السوكاح: **مراجعة كتاب "الذاكرة الجمعية" لموريس هالفاكس**، مجلة "تيبُن"، عدد 9/33، ص2020، ص 177.

[133] Maurice Halbwachs : *Mémoire collective* (1950) Un document produit en version numérique par Mme Lorraine Audy, Et Jean-Marie Tremblay, professeur de sociologie. p 86-89. Site web: http://www.uqac.uquebec.ca/zone30/Classiques_des_sciences_sociales/index.html

3-2 في الظاهرة الحضرية ومفهوم المدينة

يقدم الفيلسوف الفرنسي ثيري باكو (Thiery Paquot) تتبعا تاريخيا لتطور مدلول "المدينة"، ينطلق فيه من تعريف كلاسيكي مستوحى من المعاجم الكلاسيكية وأعمال الفلاسفة الموسوعيين خلال القرن 18م، تعريف مفاده أن المدينة تجمع سكني يتضمن أحياء ووحدات سكنية وبنايات عمومية، ومنظَّم داخل مجال مغلق تطوقه من جميع الجهات أسوار وخنادق؛ غير أن هذه الخاصية الفريدة -خاصية الفضاء المغلق- التي طبعت المدينة خلال مراحل العصور الوسطى وإلى حدود أواخر القرن 18م، سوف تتغير على نحو جذري خلال مرحلة الثورة الصناعية (القرن19م) وما سيليها، ذلك أن نمط العيش الذي فرضه المجتمع

الصناعي أفضى إلى إكساب المدينة مواصفات جديدة تعتبر الفردية (Individualité) خاصيتها الأساسية، كما أن ساكنتها سوف تتخذ صفة "الحشد (La foule)"[134] بما يعنيه ذلك من تحول ساحات المدينة إلى فضاء لممارسة الاحتجاج وتجسيد السلطة السياسية في أبعادها التنظيمية والتأطيرية فضلا عن جوانبها العنيفة. ومن ثمة سوف يصبح "التخطيط الحضري" شأنا لا يقتصر فقط على حسن التنظيم المجالي وتدبيره معماريا، بل سيتحول إلى آلية لممارسة السلطة والتحكم في الحشود الجماهيرية التي تتخذ من المدينة فضاء للسكن، العمل، والفعل الاجتماعي ذي الأبعاد السياسية والحقوقية.

لم تعد المدينة إذن مجرد ميكانزمات مادية وإنشاءات اصطناعية؛ لقد أضحت مترسخة في سيرورات حياة الأفراد الذين يقطنونها. وعلى هذا النحو صار بالإمكان الانتقال من الحديث عن المدينة، نحو الحديث عن التحضر، بوصفه يشير إلى مجمل السلوك البشري الذي يستحضر في بنيته العميقة هذا المسار الطويل من التقدم صوب تكريس نمط من الحياة الاجتماعية يستدمج القيم الحضارية ويستجيب لخصائص المواطنة.

إن العلاقة بين المدينة والتحضر، تكاد تكون علاقة تطابق، لأن الواحد منهما يستدعي الآخر ويقتضيه، فخصائص التنظيم المجالي للمدينة، تساهم في تكوين أساليب التفكير وتسهم في توجيه أنماط

[134] Thiery Paquot : *Cultiver la ville, Réflexions sur la culture urbaine.* In : Raison présente, n° 99, 3e trimestre 1991. Culture et politique, p18.

السلوك وتحدد مدى الشعور بالرفاه والأمان والاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد، وبمثل ذلك، فإن الخاصية البشرية المتمثلة في إنتاج المعنى وإبداع الرموز تجد مجالها الحيوي فيما تتيحه المدينة من إمكانيات إضفاء التغيير عليها، ووسمها بالطابع الفردي الذي تتميز به كل ذات مبدعة. ولئن كان النظر المعياري/المثالي يقتضي إحداث هذا التطابق بين المدينة والحضري، بين التمدن والتحضر، فإن هذا "النظر" قد لا يصمد كثيرا عند إحالته على مبدإ الواقع الاجتماعي التجريبي، خصوصا عند الانتباه إلى السيرورات التاريخية التي أنشأت المدن، وإلى الاختلافات الكبيرة بين الأنظمة الاجتماعية التي أنتجتها تعددية التجمعات البشرية.

4- المنهجية وأدوات جمع المعطيات

يفعِّل الباحث منهجية الملاحظة الإثنوغرافية عبر اعتماد تقنية التصوير للفوتوغرافي، بما يسمح به ذلك من اقتناصٍ للمشهد الاجتماعي في حركيته العفوية، ورصدٍ للسلوك البشري في حالة ممارسته المباشرة، وفي وضعيته المجالية والزمانية المتلبسة بشروط إنتاجه؛ كما تتيح هذه التقنية الاستجابة لشروط المقاربة الإيكولوجية التي تقتضي تحليل الفعل الاجتماعي في علاقته بالمحيط الذي يُباشَر فيه، أي توجيه الاهتمام من جهة أولى نحو السلوك من حيث هو تجسيد لمنظومة القيم والأفكار التي يحملها الفرد ويدمجها في بنية نظرته للذات والمحيط، وكذلك –من جهة ثانية– نحو الإطار المجالي الذي يحتضن هذا السلوك ويُمارَس فيه.

تتحدد الملاحظة المباشرة عبر ثلاث منطلقات أساسية[135]، فهي شكل للتفاعل الاجتماعي مع المحيط لأن الذات العارفة حاضرة على مستوى الفضاءات المجالية حضورا عينيا، وهي تحتوي على مجموعة من أنشطة الملاحظة، حيث تعمل على تسجيل المعطيات الملاحَظة، وتدوين رؤوس الأقلام، غير أن اعتماد هذه التقنيات لا يخضع بالضرورة لترتيب تعاقبي، فهي قابلة للاعتماد التزامني، بحيث تكون في كل لحظة بحثية مستدمجة لهذه العناصر؛ من جهة أخرى، تنشغل هذه الدراسة بتفعيل أداة "تحليل المضمون" وذلك

[135] Henri Peretz : *Les méthodes en sociologie, L'observation*, collection Repères, Ed La Découverte, Paris 2004, p 40.

من خلال تجميع التجليات النصية (تدوينات فيسبوكية، تعليقات، ربورتاجات أو مقالات صحفية، كتابات أو رموز على الجدران...) التي تحيل على التمثلات التي يحملها الأفراد حول مجالهم الحضري، ثم رصد الدلالات التي تحملها هذه التمثلات ومدى انعكاسها على سلوكهم ومواقفهم ومظاهر تفاعلهم مع المجال الذي يحتضن نشاطهم؛ والواقع أن المحتوى النصي ضمن هذا المستوى لا يُنظر إليه ككيان مستقل بذاته يملك بنيته الخاصة والمنغلقة، كما لا يُنظر إليه على نحوٍ ثابت ذي دلالة أحادية البعد تنطلق من المرسل وتعود إليه، إنما يُنظر إليه أساسا بوصفه "تقنية بحثية لاستنتاج استدلالات تتمتع بصلاحية وقابلية للتكرار استنادا على نصوص (أو أي حامل دلالي آخر) تتشكل معانيها وفق سياقات الاستعمال "[136]، معنى ذلك أن اعتماد تقنية "تحليل المضمون" بهذه الكيفية ينطلق من اعتبار المجال الحضري نصا ثقافيا يحمل بنياته الدلالية الداخلية ويتيح إمكانية تأويل هذه الدلالات؛ وبالتالي فالمتوخى من هذه التقنية هو القيام بالتحليل الثقافي للواقع الاجتماعي انطلاقا من المنجزات النصية التي ينتجها الأفراد بمدينة ميسور حول تمثلاتهم لذواتهم وللمجال الحضري.

5- النتائج: عرض ومناقشة

5-1 قراءة إيكولوجية في المعطيات الديمغرافية

تضم جهة فاس – مكناس عمالتين هما فاس ومكناس، وسبعة أقاليم هي: تاونات، صفرو، بولمان، الحاجب، إفران، تازة، مولاي يعقوب. وينقسم المجال الترابي للجهة إلى 194 جماعة منها 33 جماعة ذات طابع حضري و 161 جماعة قروية. ويقع إقليم بولمان في الجنوب الشرقي من الجهة، على مساحة إجمالية قدرها 14.395 كلم مربع، وتمثل الرقعة الجغرافية للإقليم 35,6% من مجموع تراب الجهة؛ إلا أن المعطيات الإحصائية الوطنية الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط في دوراتها الثلاث الأخيرة (2004، 2014، 2024) تبرز تباينا واضحا بين نسبة التمدن على مستوى جهة فاس مكناس ككل مقارنة بإقليم بولمان:

[136] Klaus Krippendorff: *Content analysis: an introduction to its methodology*; 2nd ed-2004; Sage Publications Printed in USA; p18.

	إحصاء 2004				إحصاء 2014				إحصاء 2024			
	حضري	قروي	المجموع	نسبة التمدن (%)	حضري	قروي	المجموع	نسبة التمدن (%)	حضري	قروي	المجموع	نسبة التمدن (%)
جهة فاس مكناس	2,167,225	1,705,989	3,873,214	55.95%	2,564,220	1,672,672	4,236,892	60.52%	2,832,025	1,604,848	4,436,873	63.83%
إقليم بولمان	55,798	129,312	185,110	30.1%	65,689	131,907	197,596	33.2%	73,639	129,313	202,952	36.28%

جدول رقم 1: تطور نسبة التمدن في جهة فاس مكناس وإقليم بولمان (2004-2024)

المصدر: تركيب الباحث من خلال معطيات موقع المندوبية السامية للتخطيط

يلاحظ من خلال الجدول أن نسبة التمدن في جهة فاس مكناس قد انتقلت من نسبة 55,95% خلال إحصاء 2004 إلى 63,83% خلال إحصاء 2024، بمعدل نمو سنوي (Taux de croissance annuel composé) يقدر بنسبة 1,36 % سنويا، مما يعني أن ثلثي ساكنة الجهة أصبحوا يعيشون في المناطق الحضرية، وهو ما يمكن إرجاعه إلى عوامل الهجرة القروية وتوسع المدن بضمها للضواحي القروية وتحسن ظروف العيش في المناطق الحضرية مقارنة بالمجال القروي؛ في المقابل، فقد انتقلت نسبة التمدن بإقليم بولمان من 30,1% خلال إحصاء 2004 إلى نسبة 36,28% في إحصائيات 2024، أي بمعدل سنوي يقدر بنسبة 1,39%؛ وعلى الرغم من التقارب بين المعدلين السنويين على مستوى كل من الجهة والإقليم، يُسجَّل أن التمدن يتقدم بوتيرة أسرع في الجهة ككل مقارنة بإقليم بولمان، ما يعني أنه ما يزال يغلب عليه الطابع القروي، ولعل ذلك يرجع إلى قلة الفرص الاقتصادية والتنموية في المدن داخل الإقليم مقارنة بالمراكز الحضرية الأكبر على مستوى الجهة، كما يفسَّر باعتماد الساكنة على الأنشطة الفلاحية والرعوية، لكن هذا التباين يشير أيضا إلى عدم استفادة الإقليم بنفس الدرجة من التنمية الحضرية التي تشهدها بقية المكونات المجالية والترابية لجهة فاس مكناس.

يستنتج من ذلك وجود نمو متزايد في نسبة التمدن على مستوى الجهة، ما يعكس تحولا سكانيا نحو المدن، بينما يظل إقليم بولمان قرويا في الغالب رغم الارتفاع الطفيف في نسبة التمدن، وهو ما يعني حاجة هذا الإقليم إلى مزيد من المشاريع التنموية ومخططات التنمية الحضرية لجعله أكثر جاذبية، أخذا في الاعتبار ما يتمتع به من خصائص سياحية وخصوصيات تراثية وغنى في الرأسمال اللامادي.

تشير المعطيات الإحصائية إلى أن مدينة ميسور شهدت نموا سكانيا كبيرا بين عامي 2004 و2014 بنسبة 25.35%، لكنه تباطأ بين 2014 و2024 إلى 9.76%؛ أما الجماعة القروية سيدي بوطيب فقد سجلت معدلات نمو ضعيفة جدا، حيث زادت بنسبة 3.11% بين 2004 و2014، ثم تباطأت أكثر إلى 1.35% بين 2014 و2024:

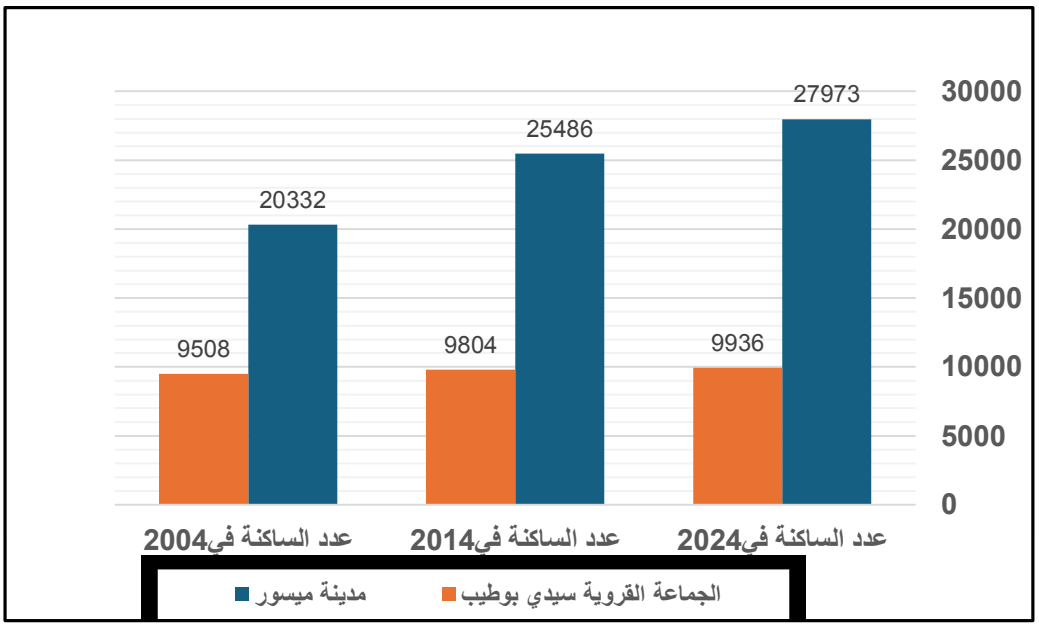

مبيان رقم 1: تطور النمو السكاني في مدينة ميسور وجماعة سيدي بوطيب بين 2004 و2024

المصدر: تركيب الباحث بناء على معطيات المندوبية السامية للتخطيط

يبرز الرسم المبياني أعلاه وجود تباين كبير جدا بين النمو السكاني في الوسط الحضري الذي شهد ارتفاعا ملحوظا في الفترة ما بين 2004 و2014 وهو ما لا يمكن تفسيره حصريا بارتفاع نسبة الولادات

في الوسط الحضري، بل يرجع أساسا إلى عاملين: عامل الهجرة القروية من الدوار إلى المركز الحضري، وعامل استقرار الوافدين على المدينة والذين تشكل فئة الموظفين النصيب الأكبر منهم. غير أن ما كشف عنه إحصاء 2024 هو أن ساكنة المجال الحضري عموما لم تعرف نسبة نمو كبيرة مقارنة بالعشرية السابقة، إذ اقتصرت على 9.76%، ويفسر ذلك بأن هذه المنطقة لم تعد منطقة جذب واستقرار للساكنة بقدر ما أضحت تشكل منطقة طرد، خصوصا أن جماعة سيدي بوطيب التي ظلت المصدر الأساسي لحركة الهجرة صوب المدينة، باتت تشهد تباطؤا كبيرا في النمو السكاني إذ انحصرت نسبته في 1.35%، في حين تغادر الفئة النشيطة من الشباب مدينةَ ميسور في اتجاه المدن الكبرى لاستكمال الدراسة أو البحث عن العمل، بينما تظل فرص الشغل والاستثمار محدودة في ذات المجال.

انطلاقا من المعطيات الديمغرافية التي تم عرضها، واعتمادا على المقاربة الإيكولوجية التي أرستها مدرسة شيكاغو والتي تحدد معايير التحضر في ثلاثة عناصر كبرى: الحجم السكاني، الكثافة السكانية، اللاتجانس الاجتماعي؛ يمكن القول إن الدينامية الديمغرافية بمدينة ميسور من حيث الحجم السكاني تتجه نحو التحضر لكنها ما تزال في مرحلة انتقالية، ذلك أنها أحدثت طفرة سريعة في العشرية (2004-2014)، لكنها تراجعت بشكل كبير خلال العشرية الموالية (2014-2024)، ما يدل على حالة من اختلال التوازن الديمغرافي يرجع إلى انخفاض معدل التحضر بسبب محدودية الموارد الاقتصادية وضعف فرص العمل[137]؛ من جهة أخرى بدأت مدينة ميسور تشهد زخما مهما في الكثافة السكانية حيث تزايد عدد التجزئات السكنية على مستوى محاورها الثلاث: التجمعات السكنية بإيڭْلي، التجمعات السكنية بحي بئر أنزران وحي القدس، التجمعات السكنية بأحياء النجاح والرياض والنهضة والفضيلة...، وهو ما يحمل مؤشرات تنبئ بالقابلية لتزايد التنافس على الموارد والخدمات، وخلق أنماط حياة أكثر تعقيدا وتداخلا.

على أن خاصية اللاتجانس الاجتماعي تعتبر أبرز ما يميز الوسط الحضري بالمجال الميسوري من حيث أنه يشهد دينامية قوية في نمط العيش تجعله في وضعية انتقالية من مجتمع القبيلة والدوار إلى مجتمع المدينة الحضرية، يتمظهر ذلك في تواجد إيقاعات مختلفة لمنطق الفعل اليومي على مستويات متعددة:

[137] نتائج إحصاء شتنبر 2024، متوفرة على الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط:
https://2u.pw/Pjg984yn

الأنشطة التجارية والخدماتية، السلوك الهندامي، المعجم التواصلي، وكذا على مستوى العلاقة بين الجنسين في المجال العمومي، ويمكن تسليط المزيد من الضوء حول هذه الوضعية من اللاتجانس عبر القيام برصد ما يمكن تسميته "ظاهريات المجال الميسوري"، وذلك من خلال تتبع علاقات الفرد بالمجال وما تنتج عنه من أشكال التفاعل والازدواجية والتداخل...

5-2 متصل الريفي-الحضري: ملاحظات ميدانية

تكشف الملاحظة المباشرة لنمط العيش داخل بلدية ميسور عن تواجد إيقاعين مختلفين من أشكال الاستجابة للحاجات اليومية ذات الطابع الاستهلاكي، ففي مقابل السوق البلَدي (Le Marché central) (سوق الخضر والفواكه واللحوم) الذي يتميز بوجود انتظام داخلي يحكمه، هناك سوق أسبوعي تنطبق عليه جميع مواصفات السوق القروي..

ينتظم السوق الأسبوعي بمدينة ميسور على مستويين، يتعلق الأول بتجارة المواشي، حيث تلتحق بساحة صغيرة الحجم مجموعة من الشاحنات والسيارات الكبيرة، محملة بقطعان من الخرفان والماعز وبعض البقر، وتستمر هذه التجارة طيلة يوم الإثنين، أغلب رواد هذا السوق من الدواوير المحيطة بالمدينة؛ وفي عشية نفس اليوم تبدأ استعدادات بسط الخيام وتسوية الصناديق (الكوربات) على نحو يجعل تفريش ركام الخضر عليها متوازنا، ومع الصباح الباكر من يوم الثلاثاء يكون السوق الأسبوعي قد انتظمت خيامه وتوزعت بضائعه (الخضر، الفواكه، الحبوب، القطاني، البيض البلدي والرومي، الزيوت، الأعشاب، التوابل، الأواني المنزلية، مواد النظافة، معدات الفلاحة اليدوية، أبواب البيوت من الحديد والقصدير، الأعلاف، سموم الذباب والبعوض، الأدوية الزراعية...) وبدأ في استقبال الوافدين عليه من كل فج عميق.

ما يميز السوق الأسبوعي لمدينة ميسور، شأنه في ذلك شأن جميع الأسواق القروية المغربية، أنه يُعتبر قبلة تتوجه لها ركوب عموم الأفراد القاطنين في الدواوير القريبة من محيط المدينة والبعيدة ليس بغرض اقتناء الحاجات الاستهلاكية الضرورية فحسب، ولكن أيضا للبث في الخصومات وفض النزاعات وعقد الصفقات وتبادل الحديث حول أخبار الزواج والطلاق والولائم والوضائم ومواسم الحصاد والجني وصفقات بيع الأراضي وبناء المنازل وكراء الساقيات المائية..، ولئن كان حجم الدواب المعتمدة كوسيلة

للتنقل ضعيفا، فإن الوسيلة المفضلة للتنقل والأكثر اعتمادا هي الدراجات النارية المكونة من ثلاث عجلات (التريبورتور) إذ يصطف هذا النوع من وسائل النقل في طوابير استعدادا لنقل الأشخاص والبضائع والمقتنيات صوب المداشر والدواوير خارج المجال الحضري للمدينة، وصوب الأحياء والأزقة داخل المدينة نفسها؛ وتعتبر لحظة الظهيرة من يوم الأربعاء هي لحظة أوج السوق الأسبوعي، حيث يشتد الزحام وتتعطل حركة المرور، وتصبح منطقة "طلعة السوق" أو "عقبة السوق" عبارة عن تكتل بشري ضخم يغيب عنه النظام وتتعطن فيه الأنوف برائحة العرق والسمك ومقالي الوجبات السريعة، ويتعالى ضجيج منبهات السيارات (الكلاكسون)، وتتداحس أقدام التلاميذ الخارجين من المؤسسات التعليمية العمومية والخصوصية، وبأقدام المتسوقين والعابرين ورجال السلطة بمختلف مراتبهم.

في ظهيرة يوم الأربعاء تتحول طلعة السوق إلى مسرح فولكلوري من حيث السوك الهندامي (Le comportment vestimentaire)، وزرات بيضاء تلبسها تلميذات، جلابيب تقليدية يرتديها رجال يضعون على رؤوسهم طاقيات بألوان داكنة ويطلقون شنبا كثيفا، جلابيب نسائية الكثير منها عريض يخفي ثنايا الجسم، ومنها "الإيفازي" الذي يبرز تفاصيله، أزياء رسمية تبدو واضحة في جوانبها أثار البلل من الجهد المهدور الذي تبذله شرطة المرور في سعيها إلى تقليص حجم التسيب والفوضى، أزياء عصرية أنيقة يرتديها الأساتذة الذين غادروا مقر عملهم متوجهين إلى منازل أكثرها في وضعية اكتراء، لأنهم يعلمون بظرفية إقامتهم في هذه المدينة، على أمل إصدار نتائج الحركة الانتقالية، واتخاذ وجهة مدينة كبرى للعمل والاستقرار.

في الجهة المقابلة لساحة السوق الأسبوعي، تتواجد ثلاثة فضاءات كبرى ذات بنيات سوسيوثقافية متباينة تحمل عند قراءتها فينومينولوجيا عدة مفارقات يصعب احتواؤها وإيجاد عناصر الانتظام بينها. الفضاء الأول هو ساحة ممتدة يطلق عليها اسم "جوطية" وهي تستوعب أشكالا مختلفة من المواد المعروضة للبيع، لكن النسبة الكبيرة منها عبارة عن "خردة" أو "لافيراي"، ووسط هذه الخردة، ينتشر باعة الأعشاب ومن يعتبرون أنفسهم يقدمون خدمات الطب البديل، كلٌّ منهم ينصُب وسَط معروضاته "الدوائية" عمودا يضع على رأسه مكبرا للصوت (البوق)، ثم يستدعي بلاغته الخطابية من أجل استقطاب زبناء جدد ممن يعانون آلام الظهر أو المفاصل أو ضعفا جنسيا أو ضعفا في السمع أو البصر؛ وعلى الرغم من تواجد

مستشفى بالمدينة يضم التجهيزات الضرورية، ومستوصف صحي، وثلة من الأطباء الخواص الذين يقل عددهم عن العشرة، فإن هؤلاء الذين يقدمون وصفات علاجية سريعة وزهيدة الثمن ومغرية بالكثير من وعود الاستشفاء، هؤلاء أنفسهم من يستقطبون العدد الأكبر من الزوار والزبائن، سيما أن "الجوطية" لا تقتصر على يوم الأربعاء فقط، بل تنصب خيامها وتحط رحال سياراتها الكبيرة (الميرسيديس 207) كل صباح يوم سبت أيضا.

الفضاء الثاني هو عبارة عن بنايات تتخذ شكل ورشات صناعية، وتتوزع في شكل مربعات متساوية الحجم، بناياتٌ كان من المفترض أن تحتضن الأنشطة ذات الطابع الصناعي أو الحرفي، من قبيل الميكانيك، السودور، الرصاصي، النجارة، ورشات الألومنيوم... لكن الاستغلال الاجتماعي لهذه المنشآت اتخذ وجهة مختلفة تماما عن الغايات التي وضعت من أجلها، إذ تحولت إلى ملاجئ يقطن بها المتسكعون، والمشردون، والعاطلون عن العمل، فضلا عن بعض الأسر التي اجتاحتها فيضانات[138] العاشر من أكتوبر لسنة 2008، من دون أن تنجح في الحصول على سكن بديل. وخلف هذه "المنشآت" تتراءى بعض البيوت القديمة والمتهالكة، التي بنيت من الطين والتراب، والتي مازالت تحتضن بعض الأسر الفقيرة جدا والمتواجدة. وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها المصالح المحلية في الحد من مظاهر السكن غير اللائق والتي من بينها قرعة الحصول على رخص البناء في تجزئات سكنية جديدة بأثمنة في المتناول (تجزئة حي النجاح، تجزئة حي النهضة، تجزئة حي الرياض 1، تجزئة حي الرياض 2، تجزئة العمران...)، إلا أن ظواهر السكن التقليدي والسكن غير اللائق ماتزال منتشرة (8.80% يقطنون دارا بدائية)[139]، خصوصا في مناطق المرابر السفلى والمرابر العليا، وإيكلي الشمالي، وإيكلي الجنوبي، وهي مناطق سكنية ذات مستوى اقتصادي ومعيشي ضعيف أو دون المتوسط.

---

[138] يذكر أن ميسور شهدت فياضانات مهولة عشية يوم الجمعة 10 أكتوبر 2008، فيضانات تميزت بارتفاع منسوب المياه لمستويات استثنائية بواد شوف شرق، وتسبب في خسائر مادية كبيرة تجلت في انهيار العديد من البنايات الطينية، بل إن دواويرا كثيرة مسحت تماما من الخريطة مثل ما حصل بدوار أولاد بوطاهر ودوار انتشابت وغيرهما.

عن كتاب ميسور الأرض والإنسان لمحمد جبور، الطبعة الأولى 2018، ص215.

[139] نتائج إحصاء شتنبر 2024، متوفرة على الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط:
https://2u.pw/Pjg984yn

الفضاء الثالث، قد يبدو غريبا عن طبيعة المجالات الأخرى التي تمت الإشارة إليها، يتعلق الأمر، بمدرسة ابتدائية خاصة تقع وسط هذا المسرح المجالي ذي الطابع القروي والذي تبدو عليه مظاهر الهامشية وانعدام التنظيم واضحة للغاية؛ ومؤسسة الأشراف للتعليم الابتدائي الخصوصي، هي منشأة تستقطب أطفال الطبقة الوسطى من أبناء مدينة ميسور، بعضهم يتكلف الآباء بمهمة مصاحبتهم إلى المدرسة وأخذهم منها بواسطة سيارة تنقلهم الخاصة، لكن أكثرهم يتنقل إليها ذهابا وإيابا بواسطة حافلات النقل المدرسي الخصوصي المتوفرة ضمن خدمات المؤسسة، والملاحَظ أن الفئات المشغلة ضمنها من مربياتٍ ومعلمينٍ وإداريين يسهرون على تمكين الأطفال من اكتساب روح النظام والانتظام بوصفه سلوكا مدنيا وحضريا، وذلك من خلال جعلهم يصطفون في شكل صفوف، والالتحاق بقاعات الدرس وفق القوانين المعمول بها داخل المؤسسة، إذ تحرص على تنظيم الفضاء التربوي بشكل صارم، فضلا عن أن المرفق من داخله يحتوي على علامات ورموز تشير إلى التربية الطرقية؛ وهو ما يفيد بأن التعاليم التي يتلقاها أولئك الأطفال بين أحضان مؤسساتهم التعليمية "الخاصة" يجدون النقيض المباشر لها بمجرد امتداد بصرهم إلى خارج مجال المدرسة، ما يعمق لديهم الفجوة بين قيم المدرسة وبين واقع المجتمع.

تلك مجموعة من المؤشرات توحي بوجود صيرورة من التغير الاجتماعي بوصفه يحيل بحسب تعريف غي روشيه إلى "كل تحوُّل ملاحَظٍ في الزمن، يمسُّ –بطريقة ليست مؤقتة أو سريعة الزوال– بنيةَ أو وظيفةَ تنظيم اجتماعي، أو مجتمعٍ معين بحيث يعدِّل مساره التاريخي"[140]. بهذا المعنى فإن المجال الميسوري يشهد تغيرا اجتماعيا على درجة كبيرة من الحدة والتسارع، ويشمل ذلك كلا من الإطار المادي والإطار الثقافي المحدد لبنية المجتمع الميسوري، ويشكِّل فضاء المقهى بهذا المعنى ذلك المسرح الذي تتمظهر فيه بجلاء تجليات هذه السيرورة من التغير المركَّب، سيما أنه يشهد ظاهرة مستحدثة، ألا وهي ظاهرة تشغيل الإناث كنادلات، بعد أن كان عملهن يقتصر على خدمات المطبخ من وراء جدار المقهى.

تشهد المقاهي المتواجدة ضمن نطاق المجال الميسوري هذه الدينامية القوية في سيرورات التغير الاجتماعي، بل يمكن اعتبارها ذلك الفضاء الذي يحدث فيه التفاعل المستمر بين الأطر الرمزية المحددة

[140] Rocher (Guy) : *Introduction à la sociologie générale* ; Troisième partie : Le changement sociale ; troisième édition, edition Hurtubise HMH ; Canada ; Mars1995 ; p. 394.

للثقافة القروية/القبلية، وبين الأطر الرمزية المحددة للثقافة الحضرية/المدنية، ويتمظهر ذلك بشكل واضح في طبيعة المواضيع التي يتم طرحها حين الالتفاف على طاولة من الطاولات المصفوفة داخل المقهى أو على رصيفه الخارجي، (مواضيع من قبيل الموسم الفلاحي، الآلات الفلاحية وكيفيات إصلاحها، مشاكل السواقي والري، منازعات الأملاك العقارية، مخططات التهيئة الحضرية وسبل الحصول على رخص البناء، أدوات البناء ومستلزماته...)، ويتمظهر أكثر على المستوى المعجمي التداولي (سْمُو، رْوَاحْ، طْحَا، رَانِي مَا كَادْ، وَاهْ، تْمْرَّتْنَا، الْفَاسْ، الدِّيوَانْ، عْكْبْ تْوَالْيَا، الْبَزْ...)[141]. فضلا عن ذلك، فقد وقع الانتباه من خلال شبكة الملاحظة اليومية إلى أن المقاهي القريبة من مكان تواجد السوق الأسبوعي تعرف إقبالا مكثفا في يومي الثلاثاء والأربعاء لأنهما يشهدان احتشاد الأفراد في مختلف أنشطة التسوق والتجارة الأسبوعيين، في حين تشهد بقية المقاهي إقبالا شديدا في الفترات التي تعرِف عرض مباريات كرة القدم (مباريات المنتخب المغربي، مباريات الرجاء الرياضي، الدوريات الأوربية، الريال والبارصا....).

تأسيسا على ما سبق، لعل مظاهر الاختلال المجالي وسوء التنظيم الاجتماعي تبدو معالمها واضحة على مستوى الملاحظة المباشرة للحياة الاجتماعية بمدينة ميسور، الشيء الذي يفضي إلى الإقرار بوجود دينامية قوية من التغير الاجتماعي على مستوى المجال الحضري سواء في بعده المكاني أو أبعاده السلوكية والثقافية، وبناء على ذلك يمكن طرح التساؤل التالي: أية صورة يكونها "الميسوري" أو القاطن بمدينة ميسور حول فضائه المجالي وسلوكه الاجتماعي؟

5-3 صورة المدينة في تمثُّل الميسوري: المدينة بوصفها نصًّا ثقافيا

إن التفكير في قضية التمثلات التي يحملها الفرد حول مجاله يستدعي ضرورة استحضار الأثر النصي الذي يقع إنتاجه على مختلف الحوامل النصية من صفحات فيسبوكية وجدران الشارع العمومي والكتابات الصحفية، على اعتبار أنها تعكس طبيعة التمثلات التي يحملها الأفراد حول ذواتهم ومجالهم الحضري ونمطهم الثقافي السائد؛ نصوص تم تجميعها من مصادر متفرقة (صفحات التواصل الاجتماعي،

[141] تحيل هذه الكلمات على التوالي إلى المعاني التالية: ما هو؟؛ تعالَ؛ أصبح وأضحى؛ أنا مريض؛ عانينا وتعبنا؛ نصف يوم من السقي؛ تعال إليَّ؛ الأطفال.

يراجع: محمد جبور، ميسور الأرض والإنسان؛ ط1، 2018، فاس – المغرب، ص104.

حسابات شخصية، مقالات صحفية...)، وتجدر الإشارة إلى أن تجميع هذه المعطيات تم بموافقة المشاركين والمعنيين بها، ووفق ما تقتضيه سياسات حماية حقوق الخصوصية، كما سيتم عرض النصوص في حرفيتها من دون أي تعديل عليها حفاظا على شحنتها الدلالية ومقاصدها الرمزية، إلا أنه سيقع الاحتفاظ بمصادرها نظرا لما تقتضيه ضرورة عدم التصريح بهوية المشاركين:

5-3-1 نماذج من المعطيات النصية المجمَّعة

تدوينة رقم -1-

"لي كيقول ميسور "مدينة" يورينا المعالم ديال التمدن، ولي كيقول مافيهاش الفقر والهشاشة والتهميش والفساد والاستبداد واهتراء البنية التحتية..المدينة بدون مسبح ماكاين لا وحدة صناعية لا حي صناعي (الورشات الصناعية وسط الاحياء السكنية) والمنبت الصناعي للشباب المقاول لي قدام السوق لحد الساعة مازال معوق ماكاينش حتى كلية متعددة الاختصاصات..."

التعليقات:

تعليق 1

ميسور لا يرقى إلى اسم مدينة... بنية تحتية مهترئة ومناصب بالوراثة وهادشي أثر مخلفات تسيير خدم اجندات شخصية و ورث الفقر و الذل للبلاد و العباد. و خير دليل تنقيل المخزني المغضوب عليه من طنجة لميسور.

تعليق 2

حبس بلا احيوط والدليل عقاب المخزني بنقله لميسور

تعليق 3

ميسور تفتقد لمقومات المدينة سواء في بعدها المورفولوجي أو السوسيولوجي أو الثقافي.

المسؤول عن هذا الواقع هم من تعاقبوا على تدبير أو تمثيل "المدينة"- أفراد و مؤسسات- حيث انخرطوا في الفساد ودافعوا عنه وعملوا على تمييع النضال،ثم فئة ثانية من الاتباع الانتهازيين (دايمن مع الرابحة(

تعليق 4

ميسور مجرد قرية كبيرة لا غير

تعليق 5

مظاهر التهميش والفقر صارخة وكذلك الاستبداد الذي عاد بنا إلى سنوات الصفع والركل والاعتقال وردا الخدمات المقدمة للمواطن وكل هذا وسط صمت وتواطؤ بعض الجهات التي يفترض فيها فضح ما يجري والضغط لتغيير هذا الواقع المرير

تعليق 6

هي منطقة للعقاب لكل موظف أراد رئيسه أن يهجنه. أما بالنسبة للساكنة فهم مجرد أصوات انتخابية. وكما قال الحكيم التهامي رحمه الله ميسور فيها 44 عشرين حاضيا عشرين وأربعة قاضيا الغرض.

تدوينة رقم -2-

ميسور خاصها شي راقي بالطيارة

يطلع للسما ويرقيها كاملة

تعليق 1

ميسور أحسن بلاد ف العالم ولي ما وفقاتوش يخوي

تعليق 2

Lach katn9so mn Baladkom li m3jbo hal ikhwi

تعليق 3

ميسور خاصها تطرد المشعودين والمتاجرين بالدين.

تعليق 4

Rak kat9yal tjri fiha o tl9at khbarat 9bal chichghal o fra9 3lik missour

تعليق 5

ميسور خاصها شي طوفان ديال شوف شرق او غي لي قلبو بيض لي يمنع هههه

تدوينة رقم -3-

ميسور...المدينة القرية... وضع تنموي قاتم... والساكنة تعاني التهميش

هاشتاغ

#جميعا_من_أجل_إنقاذ_مدينة_ميسور

تدوينة رقم -4-

ميسور.. لا بنية تحتية ولا فوقية.. لا قوادس مسرحين.. لا ضوء زين..

تعليق 1

لا صحافة لا صحة لا خدمات لا برلمال لا اقليم لا محلي والو الفقيه لي دعا عليها مات معليكش دابا

تزيان وتزها الايام وتولي ميسور احسن من سعيدية وجد غي شورط

تعليق 2

مفهمتش واش عاد بانت ليكم هذا البلاد كنت عايشين في الغربة هي من بكري مبهدلة

تعليق 3

راهم غ شي وجوه لي كانوا يجيبونا ليها البعض مات والحيين الله يدير فيهم البركة

5-3-2 تحليل المعطيات النصية

يسمح تحليل هذه المعطيات وفق الأطر النظرية التي أرستها مدرسة شيكاغو في دراسة الظاهرة الحضرية وانطلاقا من تقنية تحليل المضمون والاستفادة من برنام atlas.ti يسمح ذلك بوضع تصنيف يميز ضمنها بين خمس فئات أساسية، وهو تصنيف لا يفصل بينها فصلا قطعيا، لكن الضرورة المنهجية تقتضي تفكيك التمثلات التي تحملها قاطنة مدينة ميسور حول المكونات البنيوية للظاهرة الحضرية إلى عناصرها الأساسية، وهو ما يمكن إبرازه من خلال ما يلي:

الفئة	أمثلة من النصوص	عدد التكرارات
التهميش الاجتماعي	"الفقر والهشاشة"، "أصوات انتخابية"، "الفساد"	12
البنية التحتية	"مهترئة"، "لا مسبح، لا ورشات صناعية"، "لا ضوء زين"	8
الانتهاز السياسي	الوراثة في المناصب"، "المخزني المغضوب عليه"، "الاعتقال"	7
الهوية الحضرية	"قرية كبيرة"، "لا ترقى لاسم مدينة"، "المدينة–القرية"	5
المقاومة الرمزية	#"جميعا_من_أجل_إنقاذ_مدينة_ميسور"	3

جدول رقم 2: التصنيف الموضوعاتي للقضايا الاجتماعية بحسب الفئات

المصدر: معطيات الدراسة

يكشف هذا التصنيف عن مظاهر أزمة المجال الحضري بمدينة ميسور، فهناك تشوه مورفولوجي (غياب المرافق العامة مثل فضاءات التعليم والثقافة والترفيه، انتشار الورشات الصناعية داخل الاحياء السكنية، تواجد سوق أسبوعي بمواصفات قروية...) يعمِّق الفجوة الحاصلة بين التخطيط المؤسسي ونمط العيش اليومي داخل المجال، ويرسِّخ ما تسميه مدرسة شيكاغو بوضعية "الانزياح الحضري" الذي يضاعف مظاهر التفكك الاجتماعي؛ وهناك حالة من غياب الثقة في المؤسسات السياسة (الفساد، الوراثة في المناصب، التبعية للرابحين) التي يقع اعتبارها ممارسة ما تزال خاضعة لعقلية جامدة قائمة على التبعية والانتهازية وتوريث مناصب المسؤولية من دون تفعيل حقيقي للديمقراطية ولمبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة، مما يفضي إلى تعزيز وضعية "اللامبالاة المدنية" وإعادة إنتاج حالة التهميش العابر للأجيال وتكريس ما يسميه لويس وورث بإعادة إنتاج ثقافة الفقر؛ إلا أن بعض الكتابات الجدارية والتدوينات على منصات التواصل الاجتماعي تؤشر على تمظهرات المقاومة الرمزية، بحيث يعتبر "الهاشتاغ" وسيلة رمزية افتراضية توحِّد الساكنة في مواجهة ما تعتبره حالة الفساد السياسي واهتراء البنية التحتية، بما يعني وجود مظاهر

للمقاومة اليومية التي تدعو إلى إحداث التحول الهيكلي في الوضعية الحضرية لمدينة ميسور على المستويين المادي والثقافي معا.

إن التحليل الإيكولوجي لهذه المعطيات يفضي إلى الإقرار بالنتيجة التالية: تعتبر ميسور "مدينة–قرية"، وذلك بسبب التناقض بين التوصيف الرسمي/المؤسسي الذي يؤكد على مدَنِيتها، وبين معطيات الواقع الاجتماعي التي تكرس وضعيتها كقرية ذات بنايات إسمنتية. تناقضٌ يبرز في عقدة مركزية هي عقدة "الهامشية الحضرية" التي يعتبر التشوه الحضري محرِّكَها الأساسي بما هو حصيلة التفاعل بين غياب البنية التحتية وانعدام الثقة في الفاعل السياسي وازدواجية السلوك الفردي بين غلبة الطابع البدوي وبين النزوع إلى التحضر، لكنه يظل سلوكا يقاوم وضعية واقع الحال ويتطلع إلى إحداث التغيير الذي يكسبه خصائص الهوية المدنية ويضفي على مجاله مواصفات الحداثة الحضرية.

إن القراءة المعمَّقة في هذه التدوينات تسجِّل بوضوح حالة عدم الرضا التي تسري بين عموم الأفراد الذين يقطنون بمدينة ميسور، حالة من السخط العارم، وشعور عميق بالإقصاء، وبالتواجد على هامش الحياة : ميسور مجرد قرية ماشي مدينة، ميسور حبس بلا حيوط، ميسور منطقة للعقاب والنفي[142]، ميسور حفرة، ميسور مقبرة جماعية... تهميش يتم إرجاعه إلى شبكة سببية متداخلة ومعقدة: الموقع الجغرافي المعزول، العجز السياسي وانتهازيته، وصاية السلطة السياسية، وعدم وجود إرادة حقيقية لتحسين وضعية المدينة وظروف العيش، غياب مخططات تنموية هيكلية، غياب العدالة المجالية ... وإزاء هذا الوضع تتعزز لدى الفرد ميسور سيكولوجية الإنسان المقهور. التي تترتب عنها مواقف وسلوكات تتجه في مناحي متباينة... إنها ذات تعاني من انشطار مزدوج: ضعف مجالي وتمزق في الهوية بين حنين إلى زمن القرية والدوار واستحضار لشخصية البدوي الفلاح الذي يضع اعتباره كشخص فوق أي اعتبار، وينظر إلى غيره من الغرباء نظرة فوقية فيها الكثير من التعالي، وبين تطلُّع إلى التحضر والخروج من دوائر التخلف وجعل حياته اليومية أكثر مسايرة لتطورات العصر ولزمن التكنولوجيا والعولمة. في مقابل ذلك، يتعمَّق لديه شعور بالتواجد على هامش الحياة، وبالإقصاء الممنهج والمقصود من سياسات التنمية ومخططات الإصلاح

142 نشير إلى أن بلدية ميسور شكلت منطقة نفي لمجموعة من المناضلين والزعماء السياسيين اليساريين خصوصا في فترة السبعينات والثمانينات، نذكر منهم على وجه التخصيص محمد اليازغي وعبد الرحيم بوعبيد ومحمد لحبابي.

والنهوض بالقطاعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتحسين المرافق العمومية وتسهيل الحياة أمام المواطنين. وقد يبدو من المفيد استحضار المفهوم الباسكوني ضمن هذا السياق حين يتحدث عن "المجتمع المركب" كخاصية مميزة للمجتمع المغربي، ولعل ذلك يبدو واضحا في سياق التركيبة المجالية للمجتمع الميسوري، فهو ليس بدويا بالكامل، وليس قرويا بالكامل؛ إنه خليط بين الإثنين، ومظاهر هذا التركيب يمكن رصدها على صعيد جميع المجالات من هندسة الديكور في البيوت، إلى نمط التسوق والاستهلاك، مرورا بالمعجم اللساني المتداول، ويشكِّل فضاء المقهى بمختلف مكوناته ذلك المسرح الذي تحضر فيه على نحو جلي هذه التركيبة الفولكلورية، وتتمظهر بشكل واضح مفارقات المجال ومفارقات السلوك وأنماط التفكير.

خاتمة

خلصت الدراسة إلى رصد مستويات التعالق بين هامشية المجال وبين ما يسِم السلوك الفردي من ديناميات التغير والتي تتمظهر بشكل واضح في ثنائية القروي/الحضري؛ وهي معطيات يمكن تقديمها في صورة تركيبية ترصد مدى تجليات التداخل بين هذين المحدِّدين، فإضافة إلى خاصية العزلة الجغرافية، يمكن التأكيد على الدينامية الديمغرافية التي تشهدها المدينة من حيث ارتفاع نسبة الساكنة الحضرية مقابل انخفاض واضح لنسبة الساكنة القروية؛ ويتيح ذلك فرصة الانتباه إلى تميُّز المجال الميسوري بحركية سوسيوثقافية كبيرة، يمكن الإشارة إلى أهم خصائصها في المقتضيات التي تستدعيها سيرورات الانتقال من تجمعات قبلية وقروية تتمركز في الدواوير المحيطة بالمجال الميسوري (جماعة سيدي بوطيب) إلى مركز حضري يتخذ صفة "المدنية" شيئا فشيئا، إن على المستوى المورفولوجي وما يرافقه من تغيرات هيكلية في البنية التحتية من منشآت وتجهيزات مادية ومرافق عمومية، أو على مستوى نمط العيش وما يكتنفه من تحول تدريجي يتوجه في مسار اكتساب مقومات السلوك الحضري خصوصا فيما يتعلق بالسلوك الاستهلاكي وإيقاع الحياة اليومية.

ننتهي إلى التأكيد على أن ديناميات السلوك الحضري بمدينة ميسور تتخذ مسارات التمدن التدريجي، لكنها لم تصل بعد إلى اكتساب المقومات الكاملة للمجال الحضري، كما أن معطيات التنوع الاجتماعي والتخصص الاقتصادي والكثافة السكانية ونمط العيش كلها مؤشرات تحيل على وجود تغير اجتماعي قوي يجعل من مدينة ميسور ليس مجرد مكان جغرافي أو تكتل بشري فحسب، بل مجالا للصراع الاجتماعي

وتفاعل علاقات القوة بين تطلعات الخطاب الرسمي المؤسسي وبين إكراهات واقع المعيش اليومي، وهو ما يتطلب إرساءَ مشروع مجتمعي ديمقراطي متكامل يتم بناؤه من خلال إشراك جميع الفاعلين الاجتماعيين بمختلف مشاربهم وانتماءاتهم الأيديولوجية، ويضع ضمن ناظره الحرص على إحداث التماهي بين البناء المادي للمجال الحضري وبناء الإنسان المتحضر.

تجدر الإشارة إلى أن بعض المعطيات المجالية التي اعتمدتها الدراسة قد شهدت تغيرات بعد انتهاء العمل الميداني في أواخر سنة 2024، ومن ذلك نقل موقع السوق الأسبوعي إلى فضاء آخر؛ غير أن الملاحظات اللاحقة تفيد باستمرار معظم الممارسات والتفاعلات الاجتماعية التي رصدتها الدراسة، بما يجعل النتائج التحليلية محتفظة بقدر معتبر من الصلاحية التفسيرية.

البيبليوغرافيا

مراجع باللغة العربية:

- جبور، محمد: **ميسور الأرض والإنسان**، محاولة في الكتابة اعتمادا على الصورة الفوتوغرافية، الطبعة الأولى، 2018، طبع وتصميم العيدوني للطباعة، فاس – المغرب.
- وحدني، رشيد: **المستور في تاريخ ميسور**، دار القلم، ط 2016.
- لكْوال، أحمد: **التحضر، التحديث، الحداثة، في المجتمع المغربي الحديث**، افريقيا الشرق 2012، المغرب.
- كولون، آلان: **مدرسة شيكاغو**، ترجمة مروان بطش، منشورات المعرفة. ط1، 2012.
- لينتون، رالف: **الأصول الحضارية للشخصية**، ترجمة عبد الرحمان اللبان، مراجعة محمد زايد، دار اليقظة العربية / مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت– نيويورك، 1964.
- المالكي، عبد الرحمان: **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، ط2، افريقيا الشرق، 2019، المغرب.

- المالكي، عبد الرحمان: **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**، طباعة SIPAMA، ط1، 2015، المغرب.
- السوكاح، زهير: **مراجعة كتاب "الذاكرة الجمعية" لموريس هالفاكس**، مجلة "تيبُّن"، عدد 9/33، 2020.
- شهبار، خالد: **سوسيولوجيا الهجرة والتحضر أمام اختبار البراديغم البنائي**، مجلة العمران، العدد 15/8، خريف 2016.
- شكري، محمد سلام: **القرية والمدينة بالمجتمع المغربي، في التغير المركب من الدوار إلى المركز الحضري**، الطبعة الأولى 2020، مطبعة Solprint – Fes، المغرب.

مراجع باللغة الإنجليزية:

- Krippendorff, Klaus: *Content analysis: an introduction to its methodology*, 2nd ed- 2004; Sage Publications Printed in USA; p18.
- Park, Robert Ezra: *The city: Suggestions for the investigation of Human Behavior in the City Environment*; American Journal of Sociology; Mar 1915; Vol 20; No 5.

مراجع باللغة الفرنسية:

- Dollo, C. (et autres) : *Lexique de Sociologie*, 5eme Edition, DallosS 2017.
- Halbwachs, Maurice : *Mémoire collective* (1950) Un document produit en version numérique par Mme Lorraine Audy, Et Jean-Marie Tremblay.
- Paquot, Thiery : *Cultiver la ville, Réflexions sur la culture urbaine*. In : Raison présente, n° 99, 3e trimestre 1991. Culture et politique, p18.
- Peretz, Henri : *Les méthodes en sociologie, L'observation*, collection Repères, Ed La Découverte, Paris 2004.

- Rocher, Guy : *Introduction à la sociologie générale* ; Troisième partie : Le changement sociale ; troisième édition, edition Hurtubise HMH ; Canada ; Mars1995 ; p. 394.